الخطاب القرآني ونظريّة أفعال الكلام
(دراسة نقديّة في تطبيق المنهج التّداولي)
Qur'anic Discourse and The Theory of Speech acts
A Critical Study in the Application of the Pragmatics Approach

د.سليمة جلال‡

تاريخ الاستلام: 2020.07.14 تاريخ القبــول: 2021.04.01

الملخّص: يهدف البحث إلى التّحقق من كفايّة المنهج التّداولي في مقاربة الخطاب القرآني من جهة ومن جهة ثانيّة النّظر في الكيفيّة التي طبق بها هذا المنهج المستمد من نظريّة الأفعال الكلاميّة، وذلك من خلال دراسة مدونة تناولت الأفعال الكلاميّة في الخطاب القرآني. وبناء عليه فإشكاليّة البحث تتمحور حول الكيفيّة التي استثمرت بها نظريّة أفعال الكلام لمقاربة الخطاب القرآني مقاربة تداوليّة؟ وما مدى كفايتها؟ وفيم تتمثل الأهميّة العلميّة والمعرفيّة لهذا النّوع من المقاربة؟

خلص البحث إلى أنّ المقاربة التّداوليّة للخطاب القرآني كانت مجرد تصنيف لأفعال الكلام في سور القرآن الكريم معتمدة على موروث المفسرين بالدّرجة الأولى، لتثبت المنحى التّداولي عندهم، لا لتقدم إضافة جديدة في فهم الخطاب.

الكلمات المفاتيح: القرآن الكريم – أفعال الكلام – التّداوليّة –المنهج –المقاربة – النّقد.

‡جامعة عباس لغرور–خنشلة–الجزائر، البريد الإلكتروني: Salima.alg@gmail.com (المؤلّف المرسل).

Abstract: The research aims to verify the adequacy of the Pragmatics approach to the qur'anic discourse, through a written study that dealt with the Speech acts of the Qur'anic discourse.Accordingly,the problem of research revolves around how the theory of Speech acts has invested a Pragmatics approach to Qur'anic discourse.What is the scientific and cognitive significance of this type of approach?

The deliberative approach to qur'anic discourse was merely a classification of the verbs of speech in the Qur'an, which proved the deliberative trend of the interpreters.

Key words: Quran – Speech acts – ragmatics – Study Critical– Approach

المقدّمة: لقد فتحت التّداوليّة أفق البحث اللساني باهتمامها بالبعد التّداولي للغة مما جعلها محور بحوث متنوعة بين النّظري الذي يهتم بعرض قضايا هذا الاتجاه اللساني والبحث التّطبيقي الذي يهتم باستثمار منجزها النّظري في مقاربة الخطابات على اختلاف أنواعها، من بينها الخطاب القرآني، والذي أصبح قبلة الباحث الأكاديمي في تجريب النّظريات الغربيّة ومناهجها من دون أن تكون له القدرة على فحص مدى كفايتها أو حتى النّظر في النّقد الموجه لها؛ اعتقادا منه أن المنهج واضح المعالم ويسهل تطبيقه بما أن منهله الأول ما حفلت به كتب التّفسير والفقه والبلاغة في تحديد أغراض الكلام ومقاصده، فبدت له التّجربة بسيطة لا تستحق منه سوى التّنسيق بين مصطلحات هذه النّظريّة وكنوز المعرفة التّراثيّة بالنّص القرآني على اختلاف مصادرها، فظهرت الدّراسات من مختلف الفئات البحثيّة هدفها الأساسي استخراج أفعال الكلام من إحدى سور القرآن الكريم .

وبناءً على ما سبق نطرح إشكاليّة البحث فيما يأتي: ما الكيفيّة التي استثمرت بها نظريّة أفعال الكلام لمقاربة الخطاب القرآني مقاربة تداوليّة؟ وما مدى كفايتها؟ وفيم تتمثل الأهميّة العلميّة والمعرفيّة لهذا النّوع من المقاربة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على مدونة من بحوث الدّكتوراه تناول صاحبها الأفعال الكلاميّة في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا، واكتفينا بهذا النّموذج لنتتبع حيثيات الدّراسة، وإنْ لم يسعنا هذا البحث لذكر جميعها، خاصّة وأن مدونة الباحث هي أكبر سور القرآن الكريم وفاتحة كتابه بعد الفاتحة. وقبل أن نبدأ في فحص ونقد المقاربة التّداوليّة للخطاب القرآني، وجب علينا أن نعرف بالتّداوليّة ونظريّة أفعال الكلام.

1-مفهوم التّداوليّة: ظهرت الإرهاصات الأولى للاتجاه التّداولي عند أعلام الفلسفة التّحليليّة التي قيدت مهام الفلسفة بالبحث في اللغة، ويعد" فريجيه G.Frege مؤسّس هذا الاتجاه الفلسفي وقد تأثر به مجموعة من الفلاسفة منهم"هوسرل E.Husseri"، " فتيغا نشتاين L.Wittigenstion"،"وأوستن J.Austen "، واتفق هؤلاء جميعا على أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه الخارجي يرتكز على اللغة باعتبارها معبرة عن هذا الفهم"[1].(صحراوي،2005) لكن استعمال مصطلح التّداوليّة يعود إلى "شارل موريس Charles W.Morris" حيث اعتبرها مستوى من مستويات الدّراسة السّيميائيّة، يُعني بدراسة العلاقة بين العلامات ومستخدميها،فهو يتولى الطّريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة.[2](أمبرتو إيكو،2007) لأن البشر يتواصلون باللغة بوصفها أفضل وسيلة لتبليغ مقاصدهم،لذا تدرس التّداوليّة اللغة"بوصفها ظاهرة خطابيّة وتواصليّة واجتماعيّة في نفس الوقت".

[3](فرانسواز،دت) وهذا ما يجعلها ملتقى عدة علوم كالفلسفة واللسانيات وعلم الاتصال وعلم الاجتماع وعلم النّفس...إلخ.

غير أنّ التّداوليّة لم تصبح مجالا يُعتد به في الدّرس اللغوي إلا في العقد السّابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستن Austin وسيرلSearle، وجرايسGrice).[4](نحلة،2002) فاعتبر "جون أوستن" المؤسّس الأوّل لنظريّة الأفعال الكلاميّة من خلال محاضراته في جامعة هارفارد، ثم جاء الفيلسوف

الأمريكي "جون سيرل" وأضاف تعديلات وتحسينات على هذه المجهودات أعقبتها أعمال أخرى كثيرة أسهمت في تراكم معرفي لا يزال محل اهتمام إلى يومنا هذا.

تُعرف التّداوليّة؛ بأنّها دراسة اللغة في الاستعمال أو في التّواصل؛ وفي هذا إشارة إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السّامع وحده، وإنّما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسّامع في سياق محدد (مادي اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في الكلام.[5] (نحلة،2002) بما أنّ التّداوليّة هي البحث عن المقاصد الخفيّة. فهي "دراسة ما يعبر عنه أكثر ممّا ترتبط بما يقال."[6](ختام،2016) لأنّها تهتم بمعتقدات المتكلم ومقاصده، وتكوينه الثّقافي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجيّة ومن بينها الظّروف المكانيّة والزّمنيّة والعلاقات الاجتماعيّة بين الأطراف.

لذا فهي دراسة للغة مقابل دراسة النّظام اللساني.[7](موشلروريبول،2010) "ذلك أنّ كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألاّ توصف فقط من وجهة تركيبها الدّاخلي، والمعنى المحدد لها بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التّام الانجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة ووصف هذا المستوى التّداولي من هذا القبيل."[8] (فان ديك،2013) كما تهتم ببعض الظّواهر الخطابيّة كالحجاج والاستلزام الحواري والاقتضاء. فضلا عن دراستها للأفعال الكلاميّة الصّادرة عن المتكلمين، وذلك بفهم القواعد والمواضعات اللغويّة والاجتماعيّة والدّينيّة والعرفيّة التي يخضع لها الفعل الكلامي النّاجح، باعتبار أنّ التّداوليّة تدرس اللغة من مختلف الجوانب النّفسيّة والخارجيّة للمتكلمين والتي تشكل السّياق.

2 نظريّة أفعال الكلام: يُعدّ أوستين مؤسّس هذه النّظريّة، حيث مّيز بين نوعين من الملفوظات: الملفوظات التّقريريّة الوصفيّة وتظل خاضعة لمعيار الصّدق والكذب والملفوظات الإنجازيّة التي يكون الفعل المحوري للملفوظ إنجازيا (وعد، حذر، التّمس..) مبنيا للمعلوم، كما يشترط أن يرتبط الفعل المحوري بضمير المتكلم وبالزّمن الحاضر.[9](ختام،2016)هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التّلفظ بها في سياق مناسب، بجملة يعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل. فليس التّلفظ بالخطاب

فعلاً تصويتياً فحسب، بل هو فعل لغوي، وقد توصل أوستين أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر: [10](ختام،2016)

فعل القول: ويراد به التّلفظ بقول ما استنادا إلى جملة من القواعد الصّوتيّة والتّركيبيّة التي تضبط استعمال اللغة

فعل الانجاز: ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام والتّحذير.

فعل التّأثير: ويراد به التّأثير الذي يحدثه فعل الانجاز في المخاطب فيدفعه للتصرف بطريقة ما. فعلى سبيل المثال: حين تقول أم لطفلها:(الكلب يعض) فإنّها تنجز فعلاً قولياً لفظياً منطوقاً، وفي الوقت نفسه هي تحذّر ابنها، أي تنجز فعلاً إنجازياً، وحين يختار الطّفل طريقاً آخر فإن ذلك هو النّتيجة والأثر للمنطوق نفسه.

وقد صنّف أوستن الأفعال الكلاميّة على أساس قوتها الإنجازيّة إلى :[11] (ختام،2016).

الحكميّة: وتشمل أفعالا تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام حسب موقعه الاجتماعي مثل: أعلن، أداناتهم ..؛

التّنفيذيّة: وتشمل أفعالا تفصح عن قدرة المتكلم على اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والتّأثير على الآخرين مثل: حذر، نصح وترجى، وطلب، وتأسف...إلخ؛

الأفعال التّعهديّة: يتعهد المتكلم فيها بفعل ما مثل: وعد، وتمنى، وأقسم...إلخ؛

العرضيّة: وتشمل أفعالا يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدم حجة، مثل: دحض اثبت..؛

السّلوكيات: تشمل أفعالا دالة على سلوك اجتماعي ويتعلق الأمر بردود فعل اتجاه سلوك الآخر، مثل: الاعتذار، الشّكر، التّهنئة...إلخ.

استكمل جون سيرل عمل أوستين فاعتبر كل تواصل لغوي يستدعي أفعالا كلاميّة؛ وهي الوحدات الأساسيّة أو الدّنيا للتواصل اللغوي،[12](سورل،2015) فقدم تصنيفاً بديلاً

بناء على ثلاثة أسس منهجيّة هي: الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة وشرط الإخلاص وقد جعلها خمسة أصناف:[13](نحلة، 2002)

1 –الإخباريات: الغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة، وهذه الأفعال تحتمل الصّدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص يتمثل في النّقل الأمين للواقعة والتّعبير الصّادق عنها.

2 – التّوجيهات: غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين مثل: الأمر والطّلب، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو الرّغبة الصّادقة.

3–الالتّزامات: وغرضها الإنجازي هو التّزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد مثل الوعد والوصيّة.

4–التّعبيريات: وغرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف النّفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص ولا يوجد فيه اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات مثل الشّكر.

5–الاعلانيات: تؤدى بنجاح إذا طابق محتواها القضوي للعالم الخارجي مثل: إعلان الحرب، وميزتها أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم وتقتضي عرفا لغويا، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص.

استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازيّة المباشرة، والأفعال الإنجازيّة غير المباشرة، فبين أنّ الأفعال الإنجازيّة المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازيّة مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى، أمّا الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازيّة مراد المتكلم.[14](نحلة، 2002) ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلاّ عبر عمليات ذهنيّة استدلاليّة، مثال ذلك إذا قال شخص لآخر: المطر غزير في الخارج. فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازيّة الأصليّة تدل على الإخبار لكن مراد المتكلم منه ليس الإخبار فقط، بل يحذره من الخروج.

انتقدت هذه النّظريّة كغيرها من النّظريات لكن الباحثين المنشغلين باستثمارها في قراءة الخطابات لا يهتمون بهذا النّقد على ما فيه من أهميّة تبين محدوديّة هذه النّظريّة في بلوغ مقاصد الخطاب. نذكر هنا أمرين أساسين الأوّل يتعلق بصعوبة تحديد أفعال الكلام والثّاني بأهميّة تصنيفها.

إنّ رؤيّة سيرل للغة رؤيّة ترميزيّة تعتبر اللغة أنّها شفافة أدت للقول بوجود معنى واحد في النّصّ والخطاب وهذا غير ممكن على الدّوام، وبالتّالي فإنّه أقصى جانبا من التّداوليّة وهو ذلك المتصل بالعمليات الاستدلاليّة واللجوء في تأويل الجمل إلى السّياق والمعلومات غير لغويّة.[15](روبل وموشلر،2003)" ذلك أنّ نظريّة أفعال الكلام تفترض أنّ المعنى مقدما جاهز من خلال التّصنيفات وأنّها بالفعل يمكنها أن تقف على دلالة الكلام والخطاب. لذلك فهي تستقي معناها العملي من حقيقة أنّ هذه الأعمال نفسها إنّما توجد الأشكال والإشارات العرفيّة للنص التي يكون وجودها سابقا بالفعل لاستخدام المتكلم واستعماله لها."[16](كريستوفر،1989) فهذا إن انطبق على صنف من الأفعال كالإعلانيات فإنّه لا ينطبق على جميع الأصناف.

فاعتبار القصد شفافًا في سياق غير محدّد بشكل تام ونهائي، غير ممكن ولا يعدو أن يكون مجرد تجريد نظري لا يسعفنا بالقول بإنتاجيّة أفعال الكلام وعليه فإن القول الإنجازيّ " لا يستطيع أن يحيل على ما يقع خارج دلالتّه الخاصّة؛ لأن معناه يبقى محصورًا في ذاته كما لو أنّه حدث أو فعل تامّ في سياق شامل.إنّ وصف دلالة الحدث الأدائي (فعل الكلام) يبقى ناقصًا دائمًا، مادام يهمل حقيقة دلاليّة أخرى."[17](أخدوش، 2017) وهي وجود أمور أخرى خارج السّياق الدّلالي اللّسانيّ أو المقاميّ الضّيّق، وعليه لا يوجد انغلاق للسياق في نظر ديريدا، وبالتّالي فلا جدوى من البحث عن نقاوة الإنجاز لأنّ التّشويش من صميم اللغة .

وبناء على ما تقدّم تفقد مسألة تصنيف الأفعال الكلاميّة أهميتها لأنّ معرفة القوة المتضمنة في القول (نوع الفعل الكلامي المنجز) ليس دائما حاسما في تأويل القوة أو في نجاح العمل. فقولك "سأحضر غدا" يمكن أن تتعدد معانيه: إثبات أو وعد أو تهديد أو تكهن ..الخ، وبالتّالي فإن تحديد نوع الفعل الكلامي غير ضروري في تأويل القول

وعليه فإنّ عدم الحاجة إلى تحديد قوتها المتضمنة في القول يبطل فائدة هذه التّصنيفات.[18](روبل وموشلر،2003) وهذا بالفعل ما أثبته تطبيق نظريّة أفعال الكلام على الخطاب القرآني، لكن من يتابع الكتابات حول نظريّة أفعال الكلام وتطبيقاتها على مختلف أنواع الخطابات يحسب هذه النّظريّة قد جاءت بفتح عظيم في تحليل الخطاب لكثرة تطبيقها على المدونات التّراثيّة والمعاصرة على حد سواء من دون فحص مدى كفايتها أو النّظر في النّقد الموجه لها.

3-**نقد المقاربة التّداوليّة(أفعال الكلام) للخطاب القرآني:** نحاول من خلال هذا العرض والنّقد لما جاء في أطروحة الباحث الموسومة ب" أفعال الكلام في القرآن الكريم (سورة البقرة نموذجا) دراسة دلاليّة أن ننظر في الكيفيّة التي استثمر بها الباحث هذه النّظريّة لمقاربة الخطاب القرآني، ونتبين مدى توفيقه في ذلك، بفحص نتائج بحثه إن كانت بالفعل قد حققت الأهداف المسطرة لها.

نبدأ من الغايّة التي حددها الباحث لبحثه في قوله: "هي استثمار نظريّة أفعال الكلام في قراءة الموروث اللساني العربي، ومحاولة تأصيل لهذه النّظريّة في التّراث اللغوي العربي."[19](محمّد مدور،2014) هذا الزّعم أكبر مما ورد في عمله، لأنّه يقتفي أثر الكتابات التي وقفت على وجه الشّبه بين نظريّة أفعال الكلام وما يتضمنه التّراث من كنوز، وليس هو الذي يقوم بهذا العمل بدءا أو استكمالا، كما أنّ بحثه لا يسمح له بذلك لأنّه عمل تطبيقي،

وعنوان بحثه لا يشير إلى ذلك، لأنه دراسة تطبيقيّة لأفعال الكلام في سورة البقرة كما أنّ التّأصيل لهذه النّظريّة يُعد بحثا مستقلا قد يضيع جهد الباحث دون أن يوفي حق الغرضين النّظري والتّطبيقي.

إذا كانت غايّة البحث قد ابتعدت عن صلب موضوع دراسته فإن إشكاليته هي الأخرى تنقصها دقة التّحديد والصّياغة، حيث صاغها على النّحو الآتي: "كيف يمكن الكشف عن البعد التّداولي في الخطاب القرآني؟ وما مدى كفايّة المنهج التّداولي لدراسة الأسلوب القرآني؟ وإلى أي مدى يمكن استثمار نظريّة أفعال الكلام في الكشف عن الآليات التّعبيريّة المستعملة في الخطاب القرآني للدّلالة على القوى الإنجازيّة لهذا

الخطاب؟"[20](مدور،2014) بما أنّ الباحث قد طرح سؤاله عن كيفيّة الكشف عن البعد التّداولي في الخطاب القرآني فهذا يعني تعدد وسائل الكشف عنه، ولكن البحث أساسا ينطلق من فرضيّة أن نظريّة الأفعال الكلاميّة هي التي يمكنها أن تكشف عن البعد التّداولي، وعليه يفقد السّؤال أهميته بالنّسبة للبحث، خاصّة وأنّه لم يتطرق من قضايا التّداوليّة سوى ما تعلق بأفعال الكلام، مع أنّ هذه النّظريّة بمفردها لا يمكنها الكشف عن البعد التّداولي، وإنّما هي تكشف جانبا منه لا غير. وبالتّالي فإنّ السّؤال عن مدى كفايّة المنهج التّداولي لا يمكن التّحقق منها، وعليه فإنّ الأنسب أن يطرح السّؤال بخصوص كفايّة هذه النّظريّة فقط .كما أنّ صياغته لسؤال كفايّة التّداوليّة في دراسة أسلوب القرآن تحتاج لإعادة الضّبط لأنّها غير دقيقة من النّاحيّة العلميّة، وتربك المتلقي في فهم مجال الدّراسة التّداوليّة فهي ليست كالأسلوبيّة تهتم بدراسة الأسلوب من خلال دراسة مستويات اللغة من أجل استنتاج خصائص الأسلوب، وإنّما اهتمامها كما ذكر الباحث بالمتلقي لأنّها تدرس اللغة أثناء الاستعمال مهتمة بمقاصد المخاطِب، وعليه فإن السّؤال الأخير مجرد تكرار للسؤال الذي سبقه في صياغة لا تختلف عن سابقه من حيث تحديد مجال نظريّة الأفعال الكلاميّة، فهل تبحث في الآليات التّعبيريّة وتسعى لتحديدها؟ طبعا لا؛ لأنّه سيضطر فيما بعد للاستعانة بمنجز التّداوليّة كنظريّة الحجاج والاستلزام الحواري، مع أن عنوان الأطروحة يقف حصرا على أفعال الكلام. كما نشير إلى غياب سؤال بخصوص غايّة البحث التي هي تأصيل التّداوليّة في التّراث كما زعم الباحث.

الباحث هدف عمله في قوله: "لا يرمي البحث إلى دراسة معاني القرآن من خلال النّص بل إلى توظيف فهم المفسرين لمعاني الأفعال المتضمنة في القول، وإن المفسرين يراعون كثيرا قواعد اللغة والإعراب والبلاغة، التي من شأنها أن تكشف عن المعاني القرآنيّة، ويأخذون في الاعتبار كثيرا مقامات القول القرآني يفسرونه بها ويتأولون في ضوئها."[21] (مدور،2014) فالباحث من البدايّة يصرح أنّ عمله يعتمد على كتب المفسرين، وهذا بالفعل ما وجدناه، فكل أفعال الكلام التي حاول أن يحددها في سورة

البقرة هي طبقا لما وجده في المراجع التي صرح بها من خلال توثيقها أو تجاهل ذلك في بعض المواضع.

لم يبين الباحث أهميّة بحثه هل تكمن على مستوى نظريّة الأفعال الكلاميّة بحيث يأمل الباحث أن يضيف لها جديدا من خلال دراستها في مدونة متميزة وهي الخطاب القرآني؟ أم أن الإضافة ستكون على مستوى الخطاب القرآني بالكشف عن جديد المعاني من خلال توظيفه للمنهج التّداولي الذي يعمل على تحيين الخطاب بالنّسبة للمتلقي في زمنه؟ خاصّة أنّ الباحث يؤكد على أن دراسته ترمي إلى استخدام الأداة التّداوليّة في الكشف عن الخصائص الخطابيّة للنص القرآني وأثر المفاهيم التّداوليّة في تحليل الخطاب. لكن لا هذا ولا ذاك كان اهتمام الباحث. وربّما يرجع ذلك إلى عدم الاهتمام بتحديد أهميّة البحث، لأنّ الهدف الأوّل بالنّسبة إليه هي عمليّة التّصنيف في حد ذاتها من دون أن يبين أهميّة الوقوف على التّصنيف وما الذي يمكن أن يضيفه لفهمنا للخطاب القرآني أو لتوسعة معرفتنا بأسلوبه كما سبق وأن طرح في الإشكاليّة.

ويتأكد ما نقوله من خلال عدم وضوح رؤيته للمنهج الذي تأسس عليه البحث حيث جعل"المنهج المتبع هو المنهج الوصفي، وأنّ طريقة التّناول تستند إلى الاتجاه التّداولي بمختلف آلياته التي تمتلك فيما نرى القدرة على إضاءة مختلف جوانب الخطاب."[22] (مدور،2014) نلحظ أنّ الباحث لا يستقر تصوره نحو التّداوليّة أهي منهج أم أداة أم إجراء تحليلي؟ لأنّه في كل مرة ينوع مصطلحاته دون تبرير. وهنا يقع الباحث في اضطراب في تحديد المنهج فبعد أن حدد المنهج التّداولي وهو يشرح كيفيّة تطبيقيه وفي تحديده لمنهج الدّراسة يتبنى المنهج الوصفي مستندا على الاتجاه التّداولي، ممّا يتبين ضبابيّة الرّؤيا في معالجة موضوعه إذ لم يتضح له إن كانت التّداوليّة منهجا أم أداة أم إجراءً تحليليا.

انطلق الباحث في إجراءات التّحليل وفق التّقسيم الخماسي الذي وضعه سيرل لأصناف الأفعال الكلاميّة حيث اعتبر كل جزء من المدونة وحدة خطابيّة، تتضمن فعلا كلاميا واحدا أو أكثر حسب الموقف اللغوي والوحدة الخطابيّة، مستعينا بظروف إنتاج الخطاب متمثلة في أسباب النّزول والظّروف المحيطة بالموقف الكلامي، فعمل

على تحديد أطراف الخطاب في بعض الأحيان وليس دائما لأنّ ما صرح به غير ما طبقه، وكذا الحال مع مستويات الفعل الكلامي (فعل القول– الفعل المتضمن في القول– الفعل التّأثيري (النّاتج عن القول)– ثم صنّف بنيّة الفعل الكلامي إلى مباشر أو غير مباشر وذكر قوته الإنجازيّة من خلال تحليل دور الوسائل اللغويّة المستعملة في تعديل هذه القوة. إضافة إلى ذلك اهتمت الدّراسة بتوضيح شروط نجاح الفعل (شروط الملاءمة) وقضايا تداوليّة أخرى في بعض الأحيان مثل إبراز حجاجيّة الفعل الكلامي أو تحديد الأفعال الكلاميّة الكبرى التي لها دور أساسي في تحديد جنس الخطاب على حد تعبيره .[23] (مدور،2014) هذا ملخص للكيفيّة التي قدمها الباحث لمقاربة الخطاب القرآني بالمنهج التّداولي، فهل بالفعل التّزم بهذه الخطوات؟ هذا ما نحاول التّأكد منه من خلال تفحص عمل الباحث حسب ما ورد في فصول بحثه.

بيّن الباحث في التّمهيد سبب اختيار التّقسيم الخماسي لأفعال الكلام عند سيرل كما وضّح خصائص المدونة، وعلل سبب اختياره لسورة البقرة إلى تعدد السّياقات المرتبط بتعدد المخاطبين والموضوعات، وتنوع الزّمان والمكان، والسّياقات النّصيّة بين المحاورات والإخبار والقصص والحجاج وغيرها، وبالتّالي فهي مادة خصبة لتجلي القضايا التّداوليّة. فاعتبر السّورة بأكملها فعلا إنجازيا كبيرا هو الدّعوة إلى الإسلام لله تعالى (التّداوليّة الكبرى) وتحته تندرج الأفعال الكلاميّة الصّغرى.[24] بعد أن عرّف بالمدونة وأهم المواضيع التي تضمنتها.

فهل استطاع أن يثبت ذلك من خلال تصنيفه لأفعال الكلام؟

توزع موضوع الباحث على سبعة فصول، اختص الفصلان الأوّل والثّاني بالجانب النّظري عرض في الأوّل تعريف التّداوليّة والثّاني اهتم بأفعال الكلام وتصنيفها عند أوستين وسيرل. أمّا الفصول الخمسة المتبقيّة فقد اختصت بتصنيف أفعال الكلام خصّ كل فصل بصنف من هذه الأصناف.

3–1–الإخباريات: حدد ميدان البحث في هذا الصّنف من الأفعال في التّعرف على "الوظائف التّداوليّة للفعل الكلامي التّقريري، الذي يخبر عن مواقف وأحداث تاريخيّة ويروي أخبار الأمم السّابقة ويقص علينا قصص الأوّلين ومن أخبار الأنبياء

والمرسلين."[25](مدور،2014) وغرض هذا الصّنف هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضيّة، واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم، والقوة الإنجازيّة المباشرة للإخباريات: الوصف والإخبار والتّقرير. والقوة الإنجازيّة غير المباشرة المستلزمة مقاميا هي المدح الذّم، التّعظيم ..الخ، وتسعى الدّراسة إلى الكشف عن قوانين الخطاب من إخباريّة وشمول وصدق وإفادة .[26] (مدور،2014).

فأوّل ما بدأ به الباحث هي البسملة حيث حدد غرضها الإنجازي في التّعليم والتّأدب كما وقف على البعد الحجاجي، وكل ما أورده بحق البسلمة من شرحها وسبب استفتاح السّورة بها موثق من المراجع. [27](الألوسي، دت) لم يضف الباحث شيئا لما اقتبسه سوى ذكره للغرض الإنجازي من دون تحديد نوع الفعل وقوته الإنجازيّة. والحال ذاته مع الحروف المقطعيّة التي استهلت بها السّورة، فقد اعتبرها أفعالا كلاميّة، مع أنّها لا تنطبق عليها شروط التّواصل وقوانين الأعراف الاجتماعيّة لمقامات التّخاطب،مكتفيا بالآراء التي وردت في بعض كتب التّفسير، والتي هي مجرد افتراضات ولعل أهم افتراض لم يقف عنده؛ وهو أنّ الله أراد لهذه الحروف أن تبقى سرا من أسرار القرآن الكريم ولو كان سيكشفه لكشفه لنبيه. ومحاولة الوقوف عندها من باب الاجتهاد لا غير، وبالتّالي فتحديد الفعل الكلامي لهذه الحروف، فعلا كلاميا غير مباشر وهو التّنبيه وقوته الإنجازيّة هي التّأكيد على أنّ القرآن معجز لأنّه من الحروف نفسها التي يؤلّف منها الكلام، ليس قطعيا لأنّه لا يستطيع أن يجيب على أسئلة من قبيل، لم استأثرت بها بعض السّور دون غيرها؟ ولم تنوعت على هذا النّحو الخاص بكل سورة ؟ولم كان نصيب سورة البقرة هذه الأحرف على وجه التّحديد؟

لقد سار الباحث في استخراجه لأفعال الكلام وتحديد قوتها الإنجازيّة مستندا على ما قدمته كتب التّفسير سواء صرح بذلك ووثقه وهو الغالب على بحثه أم تجاهله في مواضع قليلة .[28](الألوسي، دت) وما يلاحظ على عمله في هذا الفصل أنّه لم يتقيد بطريقة موحدة فتارة يستخرج من الآيات القوة الإنجازيّة الصّريحة والمستلزمة وأخرى لا يذكرها، فمثال ذلك ما ورد في وصف المتقين والكافرين في بدايّة السّورة.[29](مدور،2014) وممّا انتقل فيه مباشرة للقوة الإنجازيّة المستلزمة الآيات التي

اختصت بوصف المنافقين في قوله تعالى﴿ وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة 8] تتضمن الآيّة حسب الباحث فعلا كلاميا غير مباشر هو النّعي أي التّشهير بضلال المنافقين كما تتضمن معنى التّكذيب ولم يحدد الفعل المباشر.[30] (مدور،2014) وهو النّفي، أمّا ما يتعلق بالفعل غير المباشر فقد ورد عند الزّمخشري بأنّه إنكار ما ادعوه ونفيه.[31](الزّمخشري، دت) وهو الأنسب لأنّ هناك فرقاً بين التّكذيب والإنكار ففي التّكذيب يزعم المكذب أنّه على الحق ولأجل ذلك كذب بما سمع، لكن الإنكار هو بيان واضح على أنّ الذي ينكر عليه يعلم الحقيقة لكنّه يدعي عدم معرفته .

لم يلتزم الباحث بتحديد الفعل المباشر وغير المباشر كمنهجيّة وعد بها مع جميع الآيات بل حاله مذبذب بين ذلك خاصّة ما تعلق بالإخباريات. كما نجد في الآيّة ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالذينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة 9] فقد اعتبر النّفي فيها فعلا كلاميا غير مباشر مع أنّه مباشر.[32] (مدور،2014) أمّا التّهكم والذّم فهما بالفعل غير مباشرين.

رصد الباحث أفعال الكلام في الإخباريات على اعتبار انفصال الآيات عن بعضها فلكل آيّة فعلها حتى لو كان المعنى لا يكتمل إلاّ بالآيّة التي قبلها أو بعدها مثال ذلك الآيّة[12–13] ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[33]فلم يحدد إن كان الفعل الكلامي مباشراً أو غير مباشر، لأنّ ما حدده في [الآيّة 12] هي أفعال كلاميّة مباشرة بيان حال المنافقين، والفعل غير المباشر سيظهر في التّكملة وهو الذّم والتّسليّة.

يكتفي الباحث في بعض المواضع بمجرد الذّكر لأفعال الكلام من دون شرح وفي مواضع أخرى يكون الشّرح غير كاف لتوضيح مناسبة الفعل الكلامي للسياق مثل: فعل الاعتراض في قوله تعالى:﴿ والله محيط بالكافرين﴾ وفيه تعبير مجازي يبرز القدرة الإلهيّة الكاملة أمام المخاطبين وهم المنافقون.[34] (مدور،2014) لم يبين الباحث مقصوده من الاعتراض هل هي للجملة كما هو عند الزّمخشري[35]؟ أم الاعتراض بمعنى

الإنكار أي ينكر سبحانه صنيعهم من وضع الأصابع في الآذان حذر الموت، لأّن الله بكل شيء محيط. أمّا الألوسي فيشير إلى أنّه" تنبيه على أنّ ما صنعوه من الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا وقد أحاط بهم الهلاك ولا يدفع الحذر القدر."[36](الألوسي دت) ونحسب أنّ الفعل غير المباشر هنا هو التّنبيه والتّحذير سواء للمنافقين أم المسلمين.

إنّ اهتمام الباحث بتصنيف الأفعال وفق ما هو موجود في التّداوليّة الزّمه أن لا يقارب الخطاب القرآني في تسلسل آياته ليربط بين سياقاتها ويمكن حينها أن يُفهم الخطاب القرآني في سياقه العام، فقد انطلق من البسملة إلى غايّة الآيّة [20] متجاوزا الآيّة[21] إلى الآيّة [22] ذلك أنّه صنفها ضمن الالزّاميات،[37] (مدور،2014) وبهذا لا يستفيد القارئ من المقاربة التّداوليّة لتقصي المعنى بقدر ما هي عمليّة تصنيف بعيدة عن هدف محدد. فالآيّة [20] متصلة في السّياق بما قبلها من آيات فالنّداء والأمر في قوله:﴿يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم﴾ متعلق بسياق الإخبار عن أصناف النّاس، فقد بين سبحانه فرق المكلفين وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين(منافقين) فقال في الطّائفة الأولى﴿الذي يؤمنون﴾ والثّانيّة﴿سواء عليهم أأنذرتهم﴾ وفي الثّالثّة ﴿يخادعون الله﴾ وشرح صفاتهم وما لهم وحالهم ﴿ أولائك على هدى من ربهم ..﴾والثّانيّة ﴿ ختم الله على قلوبهم﴾ ﴿لهم عذاب اليم﴾ والثّالثّة ﴿في قلوبهم مرض﴾ ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يفعلون ..﴾ ليأتي بعدها النّداء يهز كيان الجميع في قوله ﴿ يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم ..﴾فالخطاب هنا للجميع.[38](الألوسي، دت)

لكنّ الباحث لا يرى حرجا أن ينتقل إلى الآيّة [22] في قوله تعالى:﴿ الذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مباشرة مع أنّها متصلة من حيث المعنى بالآيّة التي سبقتها لأن المولى عز وجل أمر عباده فيها أن يعبدوه ثم جاءت هذه الآيّة لتبين أسباب هذا الأمر لكن الباحث استخرج الفعل الكلامي من الآيّة متمثلا في الامتنان لما تضمنته الآيّة من بدائع صنع الله ومصادر الرّزق التي أنزلها.[39] (مدور،2014) ويكاد الباحث يعتبر كل آيّة تضمنت بعض ما أنعم الله به على خلقه امتنانا، مع أنّ الأمر

خلاف ذلك لأنّ المعنى المستلزم يحدده السّياق الذي ترد فيه الآيّة والمرتبط بالآيّة السّابقة [21]، فهي مكملة لها. فالفعل غير المباشر نفهمه ممّا ذكره الزّمخشري لأنّ الغرض من ذكر النّعم الوصول إلى التّوحيد والاعتبار والاعتراف بالنّعم اللازمة للشكر، لأنّ ما ذكرته الآيّة لا يقدر عليه إلاّ الله، وبالتّالي كيف يجعلون له ندا. لذا جاء النّهي الصّريح عن جعل النّد لله، لأنّهم يعلمون أنّ الله وحده الخالق وأندادهم لا تستطيع فعل شيء من ذلك وهذا ما يحمل معنى التّعظيم.[40](الزّمخشري، دت) ﴿الذي خلقكم﴾ تعليل ﴿والذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾ "تذكير لكمال جلال الله تعالى وربوبيته وفيه تأكيد أمر العبادة ما لا يخفى، وقدّم سبحانه التّنبيه على –خلقهم– وإن كان متأخّرا بالزّمان لأنّ علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر ولأنّهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبيههم أوّلا على أنفسهم آكد وأهم".[41](الألوسي، دت) وعليه ليس الامتنان هو المقصود في حد ذاته بل تضمنت الآيّة معاني الاعتبار والتّعظيم والتّنبيه.

لقد عالج الباحث القصص القرآني بطريقة فيها بعض الاختلاف الشّكلي عمّا تقدم من آيات حيث قسم القصص إلى أجزاء محاولا أن يحدد لكل جزء فعله الكلامي فكان أوّل ما بدأ به قصّة البقرة وإن كانت هذه القصّة قد وردت في سياق الحديث عن بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السّلام ضمن أحداث كثيرة، وبالتّالي فإن القصّة لا تبدأ فقط من الآيات التي تضمنت قصّة البقرة وإنّما بدءا من الآيّة [40] إلى غايّة الآيّة [66]ثم تبدأ قصّة البقرة من الآيّة [67]إلى[73]، حيث قسّمها خمسة أجزاء: **الجزء الأوّل:** الأمر بذبح البقرة، **الجزء الثّاني:** مجادلة بني إسرائيل والاستفهام لتبيان المجمل من شأن البقرة **الجزء الثّالثّ:** ذبح البقرة **الجزء الرّابع:** موضع الاسترجاع الزّمني للتذكير بقتل الرّجل **الجزء الخامس:** الوضعيّة النّهائيّة التّعرف على القاتل ﴿فقلنا اضربوها ببعضه﴾ الأمر لإظهار قدرة الخالق على الإحياء ﴿كذلك يحي الله الموتى﴾ تفيد التّحقيق ﴿ويريكم آياته﴾ جاءت بصيغة الجمع لاشتمالها على أمور كثيرة ولعل منها: القدرة على الخلق وصدق موسى وبراءة المتهم وتعيين القاتل.[42] (مدور،2014) ليحدد بعد ذلك الفعل الختامي للقصّة متمثلا في تقرير حقائق مهمّة أبرزها: أن تعقلوا الحياة بدل الموت وتعلموا أنّ من قدر على إحياء النّفس قادر على إحياء الأنفس كلها. كما

حدد ما اسماه بالفعل الكلامي المركب: يجمع مقصد المتكلّم متمثلا في:" ترسيخ عقيدة الإحياء بعد الموت وإقناع المخاطبين بها، كما تتدعم المتواليّة السّرديّة بخاتمة وعظيّة مجسدة في العبارة الختاميّة التي تفيد تقرير الحقيقة ﴿ويريكم آياته لعلّكم تعقلون﴾."[43]وهذا تأكيد لما ذكر من شيوع التّقريرات.

وينتقل بعدها لخصائص التّحاورات وقوانين الخطاب فتحدث عن مبدأ التّعاون والتّأدب والإقناع، التّعاون من طرف الله لأنّه بيّن أوصاف البقرة في كل مرة والتّأدب في رد سيدنا موسى على بني إسرائيل﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾، والاعتذار من بني إسرائيل في قوله تعالى:﴿إنّ البقر تشابه علينا﴾ أمّا الإقناع فيتجلى من خلال المقارنة والتّعجيز والتّحدي ﴿والله مخرج﴾ إظهار قدرة الله وتعيين الجاني.[44] (مدور،2014) ما اعتبره الباحث اعتذارا يدخل في باب التّأدب، ما هو في حقيقته إلا مماطلة وعناد واستكبار فلو عرفوا التّأدب لذبحوا أيّة بقرة وإنّما قصدهم التّأخر والتّراخي في تطبيق أمر الله. ولقد وقف الباحث عند قوانين الخطاب في بعض المحاورات وتجاهلها في مواضع أخرى مثل قصّة خلق آدم عليه السّلام. وهذا ما يفسر انتقائيّة الباحث غير المبررة في تطبيق المنهج التّداولي بصورة غير واضحة ولا بطريقة موحدة.

ما أهميّة تقسيم السّورة إلى أجزاء بما أنّ أساس عمله يعتمد على استخراج أفعال الكلام من الآيات، فهل كان هذا التّقسيم إحدى طرق دراسة القصّة؟ خاصّة وأنّ التّقسيم اختلف من قصّة لأخرى وليس منهجا موحدا لدراسة القصّة؛ ففي قصّة طالوت وجالوت الآيات [246 – 256] قسّمها إلى البدايّة وتتبع الأفعال الكلاميّة، ثم مرحلة التّحول وهي القسم الثّاني من هذه القصّة حيث ذكر الباحث أنّ الرّاوي يتدخل ليواصل سرد الأحداث، وقد حصل التّحول حينما أعرض بنو إسرائيل عن تنفيذ أمره ﴿ فلمّا كتب عليهم القتال تولوا﴾.[45](مدور،2014) ولم يحدد من الرّاوي هنا، فهل يقصد المولى عزّ وجلّ؟ فهذا لا يجوز لأنّ الله لا يسمى إلاّ بأسمائه التي عرّفها لعباده، وتعالى ربّنا أن يجعل من كتابه روايّة يرويها بل هو هدى للمتقين وبيان للناس ولفظة القصص في القرآن ومشتقاتها تعني الأخبار والحديث، لقوله تعالي:﴿.. وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ ﴾ سورة القصص الآيّة [25] وليس المعنى الحديث

الذي يتصل بعرض رؤيّة الرّاوي من خلال ما تسرده قصته، فالقصص القرآني أخبار وإخبار عن حقيقة ينقلها المولى عزّ وجلّ للاعتبار.

وكذلك فعل مع قصّة عزيز الآيّة [259] حيث قسمها إلى حالات ثلاث: الابتداء التّحول النّهايّة ذاكرا مرة أخرى الرّاوي من دون أن يحدد هويته.[46] (مدور،2014) أمّا قصّة إبراهيم عليه السّلام ومناظرته للطاغوت في الآيات [171 –175] فاهتم فيها بمتابعة الحجاج بعد أنّ عرض أفعال الكلام متمثلة الاستفهام التّعجب، والادعاء والأمر ولم يذكر الفعل الإنجازي لهذه القصّة.

لقد اعتبر الآيّة [243] قصّة، وبناء على ذلك ما الذي منع الباحث من اعتبار قصّة موسى عليه السّلام مع قومه في الآيات [47 –61] قصّة؟ وكذلك قصّة استخلاف أدم عليه السّلام الآيات [34 –35] على ما فيهما من أحداث وسرد للوقائع لمْ تعتبر قصّة، واعتبر موقفا واحدا في آيّة قصّة. وهنا نتبيّن أنّه لا توجد معايير محدد في تحديد ما يعتبر قصّة في القرآن الكريم مما يعتبر مجرد إخبار لحقائق ووقائع وأحداث، وإنّما اعتمد الباحث على ما في كتب التّفسير فما سموه قصّة اعتبره كذلك، مع أنّ مبدأ التّعامل مع هذه الآيات على أنّها قصص لا يؤثر بأي حال على منهجه التّداولي الذي غرضه الأساسي استخراج الأفعال الكلاميّة وكان بإمكانه أن لا يفردها بهذه الخصوصيّة التي ما استطاع أن يبين أهميتها.

3-2-أفعال التّوجيه: وقد قسمها إلى ستة مباحث متضمنة الأحكام الشّرعيّة متمثلة في أحكام(الصّيام والجهاد والحج وأسئلة الصّحابة والأسرة والمعاملات الماليّة).وما قلناه في الإخباريات ينطبق بعضه على التّوجيهات مثل عدم تمييزه بين الفعل المباشر وغير المباشر، وتحديد الفعل الكلي ثم ذكر الأفعال الصّغرى جامعا بين الفعل المباشر وغير المباشر ويشرح بعضها وبعضها الآخر يذكره فقط، مثل ما هو موجود في الآيّة[21] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ وَالذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾من النّداء والتّنبيه والتّأكيد والاعتناء بأمر المدعو له، والأمر والمدح والتّذكير. لقد جمع الباحث بين الأفعال دون أن يميز الفعل المباشر من غير المباشر، والمعاني

المستلزمة منها.[47] (مدور،2014) لكن الباحث لم يشرح شيئا ممّا تقدم واكتفى بتوضيح أهميّة النّداء والأمر.

صنف الباحث جزءاً من الآيّة [102] والآيّة[103] ضمن التّوجيهات في قوله تعالى ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ معتبرا الفعل المباشر الإخبار والفعل غير المباشر هو التّحذير وكذلك الآيّة [103] فالمعنى الضّمني للإخبار هو الذّم والتّعريض والتّهكم.[48] (مدور،2014) وهذا ما يؤكد إشكاليّة الفصل بين أنواع الأفعال والتّداخل الواقع بينها. لكن الباحث اعتبر هذا التّداخل إحدى نتائج بحثه. كما نسجل أنّ الباحث لم يحدد جميع أفعال التّوجيهات مثال ذلك الآيات[153 –154 –155].

3-3-التّعبيريات: بعد أن عرف بها وبأنواعها، كما نبّه إلى أهميّة احترام شروط الملاءمة في تحديدها، لكنه لم يتخذها بالفعل معيارا مع جميع الأفعال وهذا ما سنبينه في موضعه، ولقد كان للباحث في هذا القسم عودة جديدة لتكرار ما ذكره في النّوعين السّابقين ممّا يطرح التّساؤل عن كيفيّة إقامة حدود فاصلة بين أفعال الكلام؟ فإن كان ذلك متعذرا فما أهميّة هذا الفصل في دراسة الخطاب القرآني؟ فقد عاد إلى الآيّة[19] وقد وردت في الإخباريات ليستخرج الفعل الكلامي نفسه، التّهويل ويعيد الشّرح ذاته.[49](مدور،2014) بل إنّ كل أفعال التّهويل التي سبق ذكرها في الإخباريات عاد إليها في التّعبيريات.

لم يكترث الباحث بمسألة بتر الآيات عن سياقها واهتمامه فقط بالجزء الذي سيستخرج منه الفعل الكلامي مثال ذلك الآيّة [159]﴿ إِنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ ذكر منها فقط الجزء الذي حدد منه فعل الكلام وهو﴿أولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وهو السّخط والإبعاد.[50] (مدور،2014) وهذا البتر للآيّة يفوت معرفة المقصود بأولئك، وهنا يصبح الوقوف على التّعبيريات مجرد تحديد لأفعال من سياق مبتور لا يسمح للمتلقي من الإفادة من معاني القرآن وفهمها وتدبرها، خاصّة وأنّ معنى الآيّة لم يتوقف هنا بل تتمته في الآيّة[160]وما بعدها التي ستستثني هؤلاء من السّخط

والإبعاد إنّ هم تابوا إلى الله في قوله تعالى:﴿إِلَّا الذينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[160] وتؤكد الآيّة [161] السّخط واللعن لمن يموت كافرا في قوله تعالى﴿إِنَّ الذينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

وفي الآيّة [173]﴿إِنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تضمنت فعلاً كلامياً هو التّحذير حيث يحذر المولى عز وجل المسلمين ممّا أحدثه اليهود في دينهم.[51] (مدور،2014) لكن ما وجدناه في الكشاف في تفسير لقوله تعالى:﴿ولا يكلّمهم الله﴾ هو" تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكريمهم الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثّناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه"[52](الزّمخشري، دت) فالفعل التّعبيري لا يتجلى في التّحذير كما بدا للباحث في هذه الآيّة بل في غضب الله على هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله أمّا التّحذير هنا فيصبح مستلزم من أفعال الإخباريات. توجيه وتحذير من الله لهؤلاء حتى يرتدعوا عن فعلتهم وليس تعبيراً عن حالة ما.

الامتنان في الآيّة[22] والآيّة[164] سبق وأنّ صنفهما الباحث ضمن الإخباريات وقد كرر الكلام ذاته فيما يتعلق بفعل الامتنان.[53] (مدور،2014) لقد أحصى الآيات التي تحدثت عن نعم الله على بني إسرائيل تباعا منطلقا من الآيّة [49] إلى غايّة الآيّة[72] لينتقي أجزاء من الآيات كلها تحمل معنى الامتنان واستمر مع الامتنان إلى غايّة الآيّة[163-164].[54] (مدور،2014) مع أن السّياق الذي جاءت فيه الآيات يدل على أنّها حجاج على وحدانيّة المولى عز وجل لأن الآيّة[164]﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قد قيل في مناسبة نزولها أنّها كانت جوابا للمشركين حين سمعوا بالآيّة التي سبقتها [163] قالوا لنبيهم :إن كنت صادقا فأت بأيّة يعرف بها صدقك فنزلت ﴿إنّ في خلق السّموات والأرض﴾.

وما يؤكد أنّ سياقها ليس للامتنان، وما خُتمت به الآيّة ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ فهذه دعوة للتدبر، لذا ورد عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم في حق هذه الآيّة (ويل لمن قرأ هذه الآيّة فمج بها) أي لفظها ورمى بها بمعنى لم يتدبرها.[55](الزّمخشري، دت) ومع أنّ الباحث قد أشار إلى سبب نزول الآيّة إلاّ أنّ ظنه بأنّ كل الآيات التي يذكر الله في النّعم وواسع فضله على عباده قد تضمنت فعل الامتنان آكد لا يتغير، ومن دون مراعاة خصوصيّة وسياق كل أيّة. فالغرض هنا ليس لإحصاء النّعم بل لإظهار قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه وما أوجده من مخلوقات دالة على ذلك وما بث فيها من دابة وتصريف الرّياح.

ومن أفعال الكلام التي صنفها في التّعبيريات وهي لا تتوفر على شروط الملاءمة خاصّة ما تعلق بشرط عدم وجود المطابقة الذّم والتّحذير والتّعريض والغضب في مواضع كثيرة نذكر منها الآيات [102]، [213]،[168].[56]فهذه الأفعال في حقيقتها ليست لمجرد التّعبير، وإنّما الغرض منها واضح فالذّم مثلا القصد منه التّوبيخ، وبالتّالي توجد مطابقة من الكلمات إلى العالم غرضه الانتهاء عن الفعل أي الزّجر. وهو توجيه وليس مجرد تعبير عن مشاعر. بل إنّ كل الآيات التي تحمل غضب الله ولعنه وذمه هي في حقيقتها ليست تعبيرا لأجل التّعبير عن موقف، لأن الله في غنى عن التّعبير عن مواقف من دون غرض ينفع عباده. والغرض منها واضح هو نهي المخاطب وزجره عن قبيح صنعه أو فساد معتقده وأن يتعظ المستمع والمتلقي للخبر، إضافة إلى أنّها تحمل معنى التّحذير، فغضب الله ولعنه أمر عظيم ينبغي اجتنابه. ونشير إلى أنّ الباحث برر تصنيف فعل التّمني فقط ضمن التّعبيريات وفقا لشروط الملاءمة.[57] لكنه تجاهل ذلك مع الأفعال الأخرى، وما هذا إلاّ دليل على أنّ هذه الأفعال في حقيقتها ليست من التّعبيريات.

وهناك من أفعال الكلام التّعبيريّة التي لم يقف عندها الباحث ونعتقد أنّه لم يحصها بشكل جيد نذكر على سبيل المثال الآيّة [61-88]

3-4-الالزّاميات: مرة أخرى تتكرر أفعال الكلام في مواضع كثيرة نذكر منها الآيّة [178] في قوله تعالى ﴿...ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفعل الكلامي هو الوعيد موجودة الآيّة في الإخباريات وتكرر الشّرح هنا منسوخا حرفيا في الالزّاميات.[58](مدور،2014) وأغلب ما ورد في الوعد والوعيد مكرر حرفيا في مواضع أخرى. بل إنّ ما صنف ضمن التّوجيهات سيصبح في الالزّاميات وعدا مثال ذلك الآيّة[217-218] استخرج من الأولى فعل التّحذير ومن الثّانيّة فعل التّنبيه والبشارة والآيتان مذكورتان في التّوجيهات مع أنّ صيغتهما خبريّة وصنفاً على أساس أنّ فعل التّحذير والتّبشير أفعال توجيهيّة والآن تكرر حرفيا وقد أصبحت هذه الأفعال ضمن الوعديات، فكيف يصح ذلك فهل التّحذير والتّبشير وعد أم توجيه؟ وما هو المعيار الذي يسير وفقه الباحث في التّصنيف؟

وفي خاتمة هذا الفصل اتضح للباحث أنّ الأفعال الكلاميّة قد حققت غرضها في التّأثير على المتلقي وهذا مراد الله من ذاك، لأجل استمالة القلوب للإسلام والابتعاد عن ما نهى عنه، كما أنّها تحفز المسلمين لروح الاندفاع للإسلام والدّفاع عنه، وبهذا يتحقق الفعل التّأثيري حسب الباحث واستشهد بقوله تعالى:﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا﴾ و﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت﴾[59](مدور،2014)مع أنّ هذه الآيات لم ترد ضمن الوعديات بل الأصل في التّوجيهيات، وما ورد في الوعديات لا يوجد فيه فعل تأثيري صريح مع أن الوعد والوعيد مدعاة للتأثير في المتلقي من أجل الفعل أو تركه .

3-5-الإيقاعيات: بعد التّعريف بها وتقديم أنواعها رصد الأفعال الإيقاعيّة معتمدا هذه المرة على ما قدّمه الأصوليون والفقهاء، وقد تكررت هنا أيضا بعض الآيات التي صنفت من قبل مثال ذلك آيّة الوصيّة مدرجة ضمن التّوجيهات لأنّها تضمنت فرض الوصيّة إذ اعتبرها الباحث أمرا يتضمن التّحريض والحث على الوصيّة، قد استوفى شروط الملاءمة بتعبير سيرل "فشرط المحتوى القضوي فعل في المستقبل مطلوب من المخاطبين وهو التّحريض على الإيصاء في الأقربين. أمّا الشّرط التّمهيدي فيتمثل في قدرة المخاطب على انجاز هذا الفعل والعمل بالأوامر وتنفيذ الوصيات. وفي الوقت نفسه المتكلم على يقين بقدرة انجاز هذا الفعل، وأنّه يريد ذلك حقا وهو ما يعرف بشرط الإخلاص .أمّا الشّرط الأساسي فيظهر في إرادة المتكلم التّأثير في المخاطبين لينجزوا

الفعل بوسائل تعديل القوة الإنجازيّة."[60] (مدور،2014)هذا تبريره لتصنيفها مع التّوجيهات، ليصنفها مرة أخرى ضمن الإيقاعيات واكتفى في تحليله للفعل الإيقاعي(الوصيّة للوالدّين والأقربين) لأنّ المراد به الوصيّة عند الموت، والفعل الإيقاعي حكم مستقلا غرضه الإنجازي هو إحداث المطابقة من القول إلى العالم وذلك أنّ الوصيّة عند الموت جاءت لتشريع يبطل ما كان معمولاً به في الجاهليّة يحرم الحقوق لذا فقد نقلهم إلى واقع جديد يسوده العدل.[61](مدور،2014) لكن الباحث نسي أنّ الوصيّة هنا فرض من الله على عباده وليس المقصود أنّ الله هو الذي يوصي حتى يعتبرها فعلاً إيقاعياً وبما أنّه فرض فهو أمر وبالتّالي حين صنفها في التّوجيهات كان أصوب له من الإيقاعيات وإلاّ ستتحول كل أفعال التّوجيهات إلى الإيقاعيات .

ومن الملاحظات الأخرى التي نضيفها إلى ما سبق ذكره استخدام الباحث لجملة "تعديل القوة الإنجازيّة " فهي لا تتناسب وقداسة الخطاب القرآني لأنّه فصل القول ولا يحتاج ربنا لتعديل القوة الإنجازيّة في كلامه، إنّ صياغة العبارة على هذا النّحو من أجل الاحتفاظ بمصطلحات التّداوليّة وإثباتها في الخطاب القرآني لا يحفظ للقرآن قداسته وهذا ما اضطر الباحث إلى الاستعاضة بلفظ السّياق مثل قوله:" لتقويّة انجازية المنطوقات السّابقة نجد السّياق يستعمل عدة وسائل لغويّة" و"استعان السّياق القرآني بوسائل مختلفة لتقويّة المنطوقات الإنجازيّة"[62](مدور،2014) وفي مواضع أخرى نجده يستخدم ما نحسبه الأفضل وهو قوله: "تدعمت القوة الإنجازيّة" و"لتقويّة الفعل الإنجازي"[63] (مدور،2014)مع ملاحظة أنّ حديثه عن تعديل القوة هو مجرد نقل من المراجع المستخدمة في بحثه مثال ما نقله عن الكشاف.[64] وهذا ما أكده في خاتمة بحثه.

ومن الأمور التي لا نوافق الباحث عليها اعتباره خطاب المولى عزّ وجلّ بمثابة الخطاب المؤسّساتي وكانت هذه إحدى نتائج بحثه وقد ذكرها في بدايّة مقدمته في قوله:"وإن تأثير المؤسّسة في المواقف يكون شديداً على المتخاطبين، فأفعال الكلام في ذلك تتحقق لا محالة، ومن ثم يمكن أن يكون الخطاب الإلهي مقابلا للإطار المؤسّساتي" لا تستقيم هذه المقابلة لأنّ الله لا يلزم النّاس أو يعاقبهم إن لم يلتزموا مباشرة كما يفعل

صاحب المؤسّسة بل الله ينذر ويحذر عباده ولهم حريّة الاختيار التي سيحاسبون عليها في الدّنيا والآخرة ﴿لا إكراه في الدّين﴾. لذا نجد الأوامر والنّواهي في القرآن الكريم مع أنها ملزمة للمسلم تسليما وتطبيقا إلاّ أنّ كثيراً من المسلمين لا يفعل ذلك، فهل هذا سيكون منقصّة لقوة الفعل الإنجازي. لا تجوز هذه المقابلة بأيّة حال من الأحوال، فالله في علاه أجل من أن نرى في سلطته وقدرته شبه بسلطة المؤسّسة، فهو مع قدرته على كل شيء إلا أنه ترك حساب عباده مؤخرا إلى يوم القيامة، وقد بيّن السّبيل والمصير الذي ينتظرهم وهو الجنة والنّار، وكل مسئول عن قوله وفعله﴿ كل نفس بما كسبت رهينة﴾. أمّا المؤسّسة فهي قائمة على نظام بشري أساسه أن يؤدي الموظف عمله مجبرا عليه بموجب عقد العمل، وعليه ستتخذ ضده الإجراءات الرّدعيّة والتي تصل إلى الفصل حتى لا يقصر في واجبه. وعليه فالأفعال الكلاميّة الصّادرة من المولى عز وجل لا يمكن تشبيهها بأفعال المؤسّسة، وحال الدّول الإسلاميّة اليوم خير دليل على ذلك، فهي لا تطبق أحكام المولى عز وجل في حياتها مع أنها صريحة وواضحة في كتابه .

خلاصة القول في مثل هذه المقاربات أنّها تُثبت التّوجه التّداولي لكتب التّفسير أكثر منها مقاربة تداوليّة للخطاب القرآني. كما أثبتت دراسة الباحث أنّ لا أهميّة لهذا التّصنيف لصعوبة وضع حدود بين هذه الأصناف من جهة ومن جهة أخرى أنّها لم تضف لفهم الخطاب القرآني جديدا يُذكر. بدليل أنّ الباحث قد استقى تحديده لأفعال الكلام من كتب المفسرين الذين بالفعل استطاعوا أن يقفوا على مقاصد المتكلم وأغراضه حسب ما تيسر لهم في زمنهم والتي جعل منها الباحث سندا لبحثه فهم فهموا الخطاب القرآني دون تصنيف والباحث همه التّصنيف الذي صعب عليه في كثير من الأحيان.

بقي لنا بعد هذا العرض المقتضب لتصنيف أفعال الكلام النّظر في خاتمة الباحث لنتفحص نتائجها وهل حققت أهداف البحث؟

–تحدّث الباحث عن تأصيل التّداوليّة كنتيجة من نتائج بحثه كما أنّه سبق وأن جعلها هدفاً من أهدافه، مع أنّ ما تناوله بخصوص التّأصيل هو نقل لجهود الباحثين

الذين عملوا على التّأصيل كما نجده عند مسعود صحراوي، ومع ذلك ذكر الجاحظ والماوردي وغيرهم ممن لم نجد لهم أثرا في دراسته؛

–تأكد لدى الباحث أنّ المنهج التّداولي رغم انتقاده فهو منهج يمتلك آليات تؤهله لتحليل جميع أنواع الخطابات بما فيها الخطاب الدّيني، مع أنّ ما قدّمه لا يكفي لإثبات هذه النّتيجة. وقد فسر الباحث غلبة القوة الإنجازيّة الضّمنيّة في سورة البقرة على القوة الإنجازيّة الصّريحة إلى ثقة المرسِل في الكفايّة التّداوليّة للمتلقي، وفي كفاءته على التّأويل والفهم على حد تعبيره.[65] (مدور،2014)وهذا أبعد احتمال يرجى من هذه النّتيجة لأنّ الخطاب القرآني لا يتسنى للقارئ العادي فهمه واستيعاب كل ما فيه، ولا حتى تفسيره أو تأويله لذا تصدى لهذه المهمة جهابذة العلماء يحاولون تفسيره وتبيان أحكامه للناس وما اعتماد الباحث على جهد هؤلاء في عمله إلاّ دليل على ذلك، والتّفسير الذي نراه هو أنّ بلاغة الخطاب القرآني هي وجه من أوجه الإعجاز، الذي تحدى العالمين بأن يأتوا بمثله ولو آيّة، فعجزوا، هذا من جهة ومن جهة أخرى أراد المولى عزّ وجلّ لكتابه أن يكون حمال أوجه في تفسير معانيه حتى تنتفع به الأجيال على اختلاف الأزمنة والأحوال، فما حدث من تطور علمي في زمننا أضاف تأويلات أخرى للنص غير التي كانت في زمن نزوله وجميعه صحيح مقبول؛

كل ما استنتجه بخصوص تصنيف الأفعال الكلاميّة أن ذكر القوة الإنجازيّة المباشرة المستلزمة لكل صنف، وممّا ذكره في التّوجيهات فيما يخص النّداء أنّ "القوة الإنجازيّة الحرفيّة هي الأمر والذي يقتضي الوجوب، والنّهي الذي يقتضي التّحريم والأمر الذي يفيد التّقرير، وله قوة مستلزمة مثل: الإباحة، والتّنزيه، والنّدب، والدّعاء والإرشاد.. الخ."[66] (مدور،2014) إن ما ورد في دراسته للنداء لم يظهر فيها ما يقول لأنّ النّداء كان مجرد لتنبيه ودعوة المخاطب للإقبال للاستماع لما سيقال وما قال عنه أنّه صريح من أمر ونهي وتقرير فهو مستفاد من الكلام الذي يأتي بعد النّداء وليس النّداء في حد ذاته مثل قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ وَالذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة الآيّة21] فالنّداء هنا دعوة لإقبال المتلقي والمعنى المستلزم التّنبيه أمّا الأمر فهو صريح وعلى وجه الحقيقة وهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به .وما ذكره

بخصوص أفعال والرّجاء والتّضجر والتّحقير والإشفاق ضمن التّعبريا ت[67] (مدور،2014) لم يرد في بحثه منه شيئ وفعل الامتنان الذي ظهر في إحصاء نعم الله على خلقه لم تكن جميع سياقات دالة على المنّ بل أحيانا هي لإقناع المخاطب ومن باب إقامة الحجة؛

–أرجع سبب تداخل الأقسام الخمسة للأفعال الكلاميّة إلى السّياق ممّا يجعل فعل الحكم فعل ممارسة والعكس. لكنّه لم يوضح تأثير ذلك في تصنيف الأفعال، فما الإضافة التي تضمنها تصنيف الأفعال في القرآن الكريم وقد لمس صعوبة الفصل وتداخل الأصناف؟ فيم تكمن إذا أهميّة التّصنيف ومنتهى ما وصل إليه الباحث من النّتائج بخصوصها هي ما سبق ذكره. فالمنتظر من هذه الدّراسة على الأقل تحليل غلبة صنف على الآخر لكن الباحث لم يقل بهذا الصّدد سوى أنّ الغلبة كانت للإخباريات لأنّ القرآن تضمن أخبار السّابقين؛

–اعتبر الباحث تعدد الأفعال غير المباشرة في الصّيغة اللغويّة الواحد تعدداً لدرجات المعنى فجعل المعنى المباشر وهو معنى الصّيغة والمعنى غير المباشر وهو معنى المعنى والدّرجة الثّالثة هي المعنى المستلزم وهو معنى معنى المعنى، وقدم مثالاً على ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:44].[68] (مدور،2014) لكنه في هذه الآيّة سرد مجموعة الأفعال الكلاميّة متمثلة في(التّقرير، التّوبيخ، التّعجيب، التّبكيت، التّقبيح، التّقريع، التّعظيم) وتندرج هذه الأفعال تحت فعل كلامي كلي هو التّوبيخ، وما قدمه من شرح لا يعدو أن وضّح التّوبيخ المستفاد من الهمزة.[69] (مدور،2014) فهو لم يحدد درجات المعنى لا في هذه الآيّة ولا غيرها وإنّما يحصى فقط أفعال الكلام استنادا لما يجده في كتب التّفسير فيشرح بعضها ويترك بعضها الآخر؛

–إنّ الفعل الكلامي الكلي للسورة لا يمكن إثباته بهذا النّوع من تصنيف الأفعال وهذا ما كان يطمح إليه الباحث حين افترض أنّ السّورة تنطلق من فعل كلي هو الدّعوة إلى الإسلام، لأن ما قام به مجرد تصنيف تداخلت فيه الأصناف.

خاتمة: –لقد وظفت المقاربة التّداوليّة متمثلة في أفعال الكلام على النّص القرآني بالاعتماد الكلي على ما هو موجود في كتب التّراثيين من كتب التّفسير والبلاغة وغيرها واستنادا إليها تم تحديد أفعال الكلام لتحديدها مقاصد المخاطِب اجتهادا للوصول إلى معاني الخطاب الإلهي، وبالتّالي اختصر جهد هذا النّوع من المقاربة في تصنيف أفعال الكلام لا بالكشف عن مدى كفايّة المنهج التّداولي في مقاربة الخطاب القرآني؛

– لقد طبقت المقاربة التّداوليّة متمثلة في أفعال الكلام على الخطاب القرآني كآليات وإجراءات هدفها التّصنيف الذي يحاول الباحثون من خلاله ادعاء أنهم قد تمكنوا من تطبيق المنهج دون أن تكون لهم القدرة حتى على نقده أو تفحص مدى كفايته في دراسة الخطابات، من خلال هذا المزيج بين موروث المفسرين ومفاهيم ومصطلحات التّداوليّة، فما كان ليبلغ به مستوى قراءة الخطاب القرآني وفهمه واستكشاف معانيه لفهم جديد كشف عنه المنهج التّداولي وإنّما هو مجرد تكرار في ثوب جديد أثبت المنحى التّداولي في كتب التّراثيين وكتب التّفسير والفقه على وجه الخصوص؛

–إنّ هذا النّوع من المقاربات لا يرقى إلى مستوى عمل المفسرين الذين أقبلوا على تفسير وفهم القرآن بعد أن احكموا علومه وأتقنوها فضلا على ما هم عليه من إيمان وخبرة. في الوقت الذي نجد إقبال الباحثين على مقاربة النّص القرآني كتجربة بحث أولى، لم يبلغ فيها الباحث بعد النّضج العلمي والمعرفي في تخصصه بله أن نتحدث عن علوم القرآن، وبالتّالي لن تكون له لا الهمة نفسها التي كانت عند الأوائل ولا القدرة على خوض غمار فهم الخطاب القرآني؛

–إنّ الخطاب القرآني يختلف عن الخطاب البشري والإقبال على دراسته يتوجب شروطا قد ألف فيها الأوائل، وهي شروط موضوعيّة يغيب توفرها في باحث اليوم وبالتّالي لا ينتظر من هذا النّوع من المقاربات أن يأتي بجديد مهما كانت الدّرجة العلميّة للباحث، وعليه، لا توجد أيّة إضافة علميّة أصيلة قد يستفيد منها البحث التّداولي ولا معرفيّة قد توسع معرفتنا بفهم الخطاب القرآني

وفي ختام هذا البحث نقترح أن تتخذ المجالسّ العلميّة قرارات لمنع مقاربة النّص القرآني بالمناهج النّقديّة الحديثة في مراحل التّكوين الجامعي، لأنّها قائمة على تأويل

ذاتي أساسه النّقد وهذا المبدأ لا ينبغي أن ننطلق منه لقراءة الخطاب القرآني فتعالى ربنا أن يكون كلامه محل نقد، لذا يضطر الباحثون إلى تكرار واجترار ما وجد في كتب التّراثيين، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن مستوى الباحثين في هذه المرحلة لا يسمح لهم لا الإحاطة بعلوم القرآن ولا الاستيعاب الجيد لهذه المناهج لذا يتسم تطبيقهم بالسّطحيّة، فهم يجعلون من النّص القرآني مجرد مدونة تعليميّة يتدربون فيها على المنهج، ممّا يقودهم للخطأ بحق النّص المقدس الذي لا ينبغي النّظر إليه كمدونة لغويّة وحسب.

قائمة المراجع:

-أبو القاسم محمّد بن عمر الزّمخشري: الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، مكتبة مصر للطباعة، دط، مصر، دس.

-الألوسي البغدادي: روح المعاني-تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، دط، لبنان، دس.

-الحسين أخدوش: ديريدا وتقويض مركزيّة الكلام في نظريّة جون لانغشو أوستين في أفعال الكلام، مؤمنون بلا حدود، ديسمبر 2017 https://www.mominoun.com/tags/61217 ، 3 -02-2020.

-أمبرتو إكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثّقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 2007.

-آن روبول، جاك موشلر: التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل ترجمة: سيف الدّين دغفوس-محمّد شيباني، دار الطّليعة، ط1، بيروت،2003.

-جواد ختام: التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، ط1، الأردن 2016.

-جون ر. سورل: الأعمال اللغويّة -بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، دار سيناترا ط1، تونس،2015.

–فان ديك: النّص والسّياق –استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشّرق،دط،المغرب،2013

–فرانسواز أرمنكر: المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط الرّباط دس.

–كرستفور توريسس: التّفكيكيّة –النّظريّة والممارسة، تر: محمّد صبري حسن، دار المريخ، دط، المملكة العربيّة السّعوديّة،1989.

–محمّد مدور: الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداوليّة، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربيّة، كليّة اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة – الجزائر،2013–2014.

–محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة دط مصر،2002

–مسعود صحراوي: التّداوليّة عند العلماء العرب، دار الطّليعة للطباعة والنّشر، ط1 لبنان،2005 .

---

[1] ينظر مسعود صحراوي: التّداوليّة عند العلماء العرب دار الطّليعة للطباعة والنّشر لبنان ط2005،1، ص 20–21.

[2] أمبرتو إكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثّقافي العربي المغرب، لبنان، ط 2007،1، ص 56

[3] فرانسواز أرمنكر: المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي الرّباط، ص 19

[4] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، مصر 2002، ص9.

[5] المرجع نفسه،14.

[6] جواد ختام: التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، الأردن، ط1 2016. ص17 .

[7] جاك موشلروآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداوليّة، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين دار سيناترا، ط2، تونس، 2010، ص 21

[8] فان ديك: النّص والسّياق –استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني إفريقيا الشّرق، المغرب،2013، ص 19.

[9] جواد ختام، مرجع سابق، ص87.

[10] المرجع نفسه، ص 90

[11] المرجع نفسه، ص90

[12]جون ر. سورل: الأعمال اللغويّة –بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، دار سيناترا تونس ط1، 2015: ص 39

[13] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص49 –50.

[14]المرجع نفسه، ص50–51.

[15]آن روبل وجاك موشلر: التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل ترجمة: سيف الدّين دغفوس–محمّد شيباني، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2003، ص 46.

[16] كرستفور توريسس: التّفكيكيّة –النّظريّة والممارسة، تر: "محمّد صبري حسن، دار المريخ المملكة العربيّة السّعوديّة،1989، ص 233.

[17] الحسين أخدوش: ديريدا وتقويض مركزيّة الكلام في نظريّة جون لانغشو أوستين في أفعال الكلام، مؤمنون بلا حدود، ديسمبر 2017، ص 8

[18] آن روبل وجاك موشلر : مرجع سابق، ص 195 .

[19] محمّد مدور: الأفعال الكلاميّة في الخطاب في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداوليّة أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة –الجزائر،2013–2014، المقدمة ص ب

[20] المرجع نفسه: ص ج

[21] المرجع نفسه: ص ج

[22] المرجع نفسه: ص د

[23] المرجع نفسه: ص د

[24] المرجع نفسه: ص 66.

[25] المرجع نفسه: ص 67.

[26] المرجع نفسه: ص 67.

[27] انظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني–تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، ص 108.

[28] انظر المرجع نفسه: نذكر منها ما ورد بشأن الآيّة [10]، فالفعل المتضمن للقول هو: الوعيد، كما يتضمن معنى الذّم بالكذب والتّكذيب، والفعل الكلامي غير المباشر هو التّحريض ص151.

[29] محمّد مدور، مرجع سابق، ص 74 –76.

[30] المرجع نفسه: ص 77

[31]أبو القاسم محمّد بن عمر الزّمخشري: الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، مكتبة مصر للطباعة، دط، دس: ص 55

[32] المرجع السّابق: ص 77 وأيضا في [الآيّة11]﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. ﴾ذكر الفعل الكلامي وهو بيان حال المنافقين ويتضمن النّهي. ص 78 وهو في الحقيقة فعل مباشر أما غير المباشر فهو تنبيه المؤمنين إلى أخطر صفة قد يخدعوا بها وهي ادعاء المنافقين الإصلاح. وكذلك [الآيّة 20] ص 83.

[33]المرجع نفسه: ص78

[34] المرجع نفسه: ص 83.

[35] الزّمخشري: مرجع سابق، ص 81.

[36] الألوسي البغدادي: روح المعاني مرجع سابق، ص 175.

[37] محمّد مدور: ص 83، وكذلك من الآيّة [22] ينتقل إلى الآيّة [27] مستخرجا أفعال الكلام المتضمنة في القول متمثلة في فعل التّوبيخ والذّم مع أن هذه الآيّة متصلة بما قبلها أيضا وهي الآيّة [26] حيث ضرب الله فيها مثلا بالبعوضة وما فوقها ليبين أن الفاسقين في ضلال لعدم اتعاظهم بهذه الأمثال فتأتي الآيّة[27] لتبيّن من هم الفاسقون؟ فيكون الفعل غير المباشر التّعريض.

[38] المرجع السّابق: روح المعاني ص 175.

[39] محمّد مدور: مرجع سابق، ص83. وكذلك الآيّة [29] ص 84في قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿**29**﴾ ذكر أن الأفعال الإنجازيّة الجزئيّة هي أغراض الكلام التي يقصدها المتكلم فكان الفعل الكلامي الكلي في هذه الآيّة هو التّعظيم والأفعال الإنجازيّة (الامتنان والتشويق التفخيم

التّقرير والمبالغة). ثم حين أراد شرحها أسقط من الشّرح التّقرير والتّشويق وأما المبالغة فحصرها في استخدام صيغة المبالغة، ذاكرا أنها تقويّة لفاعليّة الفعل الكلامي ما ليس في غيرها لكن صيغة المبالغة.

[40] الزّمخشري: مرجع سابق، ص 88.

[41] الألوسي البغدادي: روح المعاني، مرجع سابق، ص185

[42] محمّد مدور: مرجع سابق، ص 158.

[43]المرجع نفسه: ص 162.

[44] المرجع نفسه: ص 163.

[45] المرجع نفسه: ص 166.

[46] المرجع نفسه: ص 170.

[47]المرجع نفسه محمّد: ص 179، وكذلك الآيّة 25 ص 181 من أطروحة الباحث، فقد جعل الفعل المباشر وهو الأمر (بشر) يندرج ضمن الأفعال الصّغرى لفعل الوعد الذي هو غير مباشر، كما أنّه لم يوضح فيما تجلت الأفعال الصّغرى فلئن كان واضح فعل البشارة والتّأكيد ففعل التّعظيم والاستغراب يحتجان إلى توضيح كيف استنتج ذلك. وهكذا دأبه في اغلب الأحيان الآيّة [42 و43] ص 182. وفي الآيّة [44 و46] ص 184، وفي مواضع أخرى يميز بين الفعل المباشر وغير المباشر كما ورد الآيّة [100] ص 184.

[48]المرجع نفسه: ص 188 و191.

[49] المرجع نفسه: وردت الآيّة مع الإخباريات ص 82 وفي التّعبيريات ص 271. الآيّة [213] نجدها في التّوجيهات ص 248، وفي التّعبيريات ص 275.﴿ والله غفور حليم﴾ في التّوجيهات ص 238 وفي التّعبيريات ص275.والآيّة[28] وردت في الإخباريات ص 83 وفي التّعبيريات ص276 مع أنه يفترض أن تصنف ضمن التّوجيهات لأنها بصيغة الاستفهام غير الحقيقي كما صنفت غيرها من الآيات، وكذلك الآيّة[30] .

[50] المرجع نفسه: ص 271.

[51] المرجع نفسه: ص 272.

[52] الزّمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ص198

[53] المرجع السّابق: ص 138

[54] المرجع نفسه: ص 272 –274.

[55] الزّمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ص 193.

[56] محمّد مدور: مرجع سابق، ص 281، الذّم [**102**]﴿ تَكْفُر ﴾الفعل الكلامي هو الذّم لعدم وجود المطابقة. والآيّة [213] استخرج من الأفعال الكلاميّة الذّم والتّحذير والتّعريض. الآيّة [168يفترض أن تصنف الآيّة في التّوجيهات خاصّة وأنّ الباحث قد وقف على الفعل المباشر وهو الأمر والمستلزم هو التّوبيخ والتّعريض. فكيف تصبح ضمن التّعبيريات لكون الباحث ينظر إليها على أنّها أفعال مستلزمة التّحذير فيه مطابقة وهو ليس تعبير بل توجيه ص 283.

[57]المرجع نفسه:280.

[58] محمّد مدور: مرجع سابق، في الإخباريات ص 203، وفي الالزّاميات ص 296 ومثال ذلك أيضا: الآيّة 159 في الإخباريات 136والوعديات298، الآيّة 161 في الإخباريات ص 136 وفي الوعديات 299، الآيّة 174 والآيّة 209 وغيرها.

[59] المرجع نفسه: ص 307.

[60] المرجع نفسه: ص 207.

[61] المرجع نفسه: ص 313 وكذلك الآيّة [256] قوله تعالى:﴿لا إكراه في الدّين..﴾صنفها ضمن الإخباريات واعتبرها إخبارا بمعنى النّهى لا تكرهوا في الدّين وتجبروا عليه، الآيّة في التّوجيهات ص 265،وفي الايقاعيات ص 313 وغيرها.

[62] المرجع نفسه: ص 193 –203

[63]المرجع نفسه: ص 179 –215، 199.

[64] المرجع نفسه: ص215 وفي الكشاف 208 فما بعدها

[65] المرجع نفسه: ص 324–325.

[66] المرجع نفسه: ص 325.

[67] المرجع نفسه: ص 326.

[68] المرجع نفسه: ص 327.

[69] المرجع نفسه: ص 183.